

المبدأ 39

عندما يصبح الجمود شكلاً من أشكال القضاء

المغزى:

بعض الناس يتقل كاهلهم نظام عمل ضبابي وطرق أداء غير مدركة الأبعاد والمغزى، فلا يستطيعون التحرك بسرعة أو حتى الإحساس بالتغيير لرتابة نمط الحياة المعاش والمضغوط عليهم، فيتحركون بتثاقل وبطء إلى أن يسبقهم الزمن ويفنون شيئاً فشيئاً. لهذا تعلم - وفيما لو أردت أن تكون قوياً في بيتك - أن تتحرك بسرعة، أن تتبدل في «لون جلدتك» والا سوف تؤكل، لا تظهر على خصومك كشيء صلب أو ثابت ليهاجموك، بل أربكهم في «خدع» التّمويه: أن تظهر في أكثر من موقع، أن تتشكل بعوامل معينة، أو تترك آثاراً من خطتك بمكان.. وتبني فخاً في مكان آخر.. مثل هذه الإستراتيجية تجعل التنبؤ بحركاتك مستحيلاً تُعجز منافسك عن



فهمك أو القدرة على هزيمتك. السلطة لا «تتركز» إلا إذا كانت مرنة في تعاطيها ورموزها وأشكالها وحتى ألعيبها، وكونها بلا شكل لا يعني ذلك بالضرورة أنها غير منتظمة بل إن انعدام الشكل في عالم الأقياء أشبه بمرونة الماء التلقائية الذي يأخذ شكل الوعاء الذي يوضع فيه، ومع تغيّره من وعاء لآخر لا يمكن التنبؤ بشكله قط. وأولى المتطلبات الهامة لانعدام الشكل من قبلك - كصاحب نفوذ- هي أن تدرب نفسك على عدم أخذ شيء على محمل شخصي أو أن تظهر بمظهر هجومي/ متشنج، لأن عندما تتصرف بأسلوب دفاعي تظهر عواطفك، تتكشف نقاط ضعفك فيدرك الأخصام أنهم أصابوا فيك عصباً حساساً فينفذوا منها إلى عالم أسرارك. وتذكر أخيراً أن انعدام الشكل تكتيك قوة، فلا تخلط أبداً بينه وبين أسلوب مجارة التيار أو الاستسلام المتواكل لتقلبات الحظ، فأنت تستخدم هذا التكتيك لأنه يهيئ نوعاً من التناغم والانسجام بل لأنه يعزز قدرتك على مجارة الركب، فالحيوانات المنقرضة ما انقرضت إلا لأنها لم تستطع أن تتحرك وتختبئ وتكيف بسرعة مع عوامل الطبيعة المتبدلة.

المثال

تفاجأت هند خلال سنة زواجها الأولى من تبدلات الحياة مع زوجها، كانت للوهلة الأولى تعتقدها بلا دموع، بلا خصام، بلا

مشاحنات، وأنها حب وهيام مستمر.. لكنها اليوم وبعد سنة على زواجها بدأت تتساءل عن جدوى ارتباطها بشخص يبدو كالأعمى حين تلبس فستاناً جديداً أو تغير تسريحة شعرها فلا يعلق، ويبدو كالأخرس تارة أخرى عندما تحدّثه عما حدث في غيبته فلا يتفاعل.. اعتقدت لفترة أنه لم يعد يهتم بها وهي التي تهتم بكل صغيرة أو كبيرة تصدر عنه لدرجة يضيق ذرعاً باهتمامها الزائد له، «بينما هو في المقابل يتجنب كل ما يفضيني، ويبادر إلى تلبية طلباتي دون مناقشة حتى شعرت بأنه يقوم بذلك ليس عن حب واهتمام وإنما ليسكتني فقط.. لقد بدأت أشعر أن الحياة جامدة على رتابة التواصل البارد، أتحسر فيها على أيام التضام، ففي تلك الأيام كان الخصام كما الصلح يعني أن كل واحد مهتم بالآخر ويهتم بما يصدر عنه، في حضرة أصدقائه أجده المتحدث اللبق، ومعني يصاب بالخرس حين أحكي له شيئاً حدث أثناء غيبته، في جلسات الأصحاب وأثناء التزاور تجده الإنسان المرح الذي لا يهدأ بتعليقاته الظريفة وأخباره التي تحدث معه يرويها لهم.. ولا يرويها لي حينما نكون معاً»، تتابع هند: «زوجي الذي ينسى في المساء ما أطلبه منه الصبح يفاجئني بكل كلمة قيلت خلال جلسة لنا مع الأصحاب، وكيف أنه لا ينسى موعداً برّد زيارة بعد شهور رغم زحمة مشاغله.. ماذا يعني هذا؟ ألا يعني أنه لم يعد يحبني لأن حياتنا أصبحت على شيء من الجمود».

كثير من الأزواج يوهمون أنفسهم أن سيرورة الحياة تبقى كما هي قبل الزواج وبعده، وأن شعلة الحب لا تخبو، ولكن ما يفوتهم أنها مراوحة بين خصام وغرام، توافق وتنافر. وأنها ليست ثابتة على جمود.. وإن هي كانت كذلك فلا شك تفقد كل طعم وتمنى بالسأم، الحياة الزوجية ليست كلها حباً وغراماً، ما ينبغي أن ندركه جميعاً أن الحب ليس شيئاً مثل الجواهر يمكن أن يضعها الإنسان في صندوق ويتركه ليعود إليه بعد سنين فيجد الجواهر كما تركها دائمة التائق، بل الحب سيرورة الحياة ما لم يتجدد من خلال التفاعل فإنه يذوي ويذبل ويتجمد، وإن لم نعد ذلك بأن ليست كل الأسئلة لها نفس الإجابات ولا ردود الفعل تكون ذاتها حين تتطور المواقف.. فالحياة بكل معالمها تتبدل وتسير وإن لم تسر يقتلها الجمود والثبات.. والحب بدوره يوجد في كل موقف.. ودليل وجوده لا يحتاج إلى برهان..

المخلص:

ثمة قاعدة ذهبية تقال لمن يريد أن يتكيف والظروف الجديدة مفادها: أن تطرح جانباً القوانين التي يبشر بها الآخرون ليخبروك ما يتعين عليك عمله، لأنه إذا اعتمدت أكثر على آراء الناس ونصائحهم.. قد ينتهي بك الأمر إلى أن تتخذ شكلاً ليس من صنعك ولربما يكون في حد ذاته مطباً يضعه الآخرون كي ينالوا منك، فكن «حربوقاً».

■ المرادف:

■ إن العاقل لا يسعى لاتباع طرق الأقدمين ولا يقيم معايير ثابتة على مدى الأزمنة كلها بل يتفحص الأشياء الموجودة في عصره ثم يتهيأ للتعامل معها.

(فيلسوف صيني)

■ إن القوانين التي تحكم الظروف تلغيها الظروف المستجدة.

(القائد الفرنسي نابليون بونابرت)

■ عندما تريد أن نقاتلنا لا ندعك تفعل وتعجز في العثور علينا، ولكن عندما نريد الآن أن نقاتلك فإننا نحرص على عدم تمكينك من الهرب، توجيه ضربتنا تقضي: يتقدم العدو نترجع، يعسكر نضايقه بالمناوشة، يتعب نهاجمه، يتراجع نطارده.

(قائد عسكري)

■ الخوف لا يهرب إلا القلب الفاسد.

(الروائي الإنكليزي شكسبير)

■ ■ ■